فصل قال ابن الخطيب ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام مكتوم وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى القوم لكنه سمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاوليك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة • وايضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر دينه واما اوليك الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك يحرم • وايضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندايهم فهذا النداء الذي هو الصارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا فثبت ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية • وايضا فمع هذا لا عتبا يا ابن ام مكتوم فكيف لعتب بالاعمى • وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم يودب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل ومع الاذن فيه كيف يعاتب فيه • والجواب عن الاول انما فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجوا اسلامهم ولكن الله عاتبه حتى تنكسر قلوب اهل الصفة او ليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المومن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال على الاغنيا طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوع من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية • وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه • وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه وكان في هذا نوع جفا منه ومع هذا انزل الله في حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله ابن ام مكتوم يزكى بما استدعا منك تعليمه اياه من القران والدين واما ذكره بلفظ الاعمى ليس للتحقير بل كانه قيل انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة • واما كونه ماذونا له في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديمه تقديم الاغنيا على الفقرا وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب عوتب فصل قال ابن الخطيب تمسك القايلون بصدور الذنب عن الانبيا عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية وقالوا لما عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على انه كان معصية قال ابن الخطيب وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب عن الاول • وايضا فانه هذا من باب الاحتياط وترك الافضل قوله وما يدريك لعله يزكى الظاهر انه اجرى الترجي مجرى الاستفهام لما بينهما من معنى الطلب في التعليق لان المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي اذ التقدير لا يدري ما هو مترجى منه التزكية او التذكر وقيل الوقف على يدريك والابتدا بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله

ثم

ثم ابتدا فقال لعله يزكى فصل قيل الضمير في لعله للكافر يعني لعلك اذا طمعت ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى اي قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين • ونظيره هذه الاية قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • وقوله ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا قوله او يذكر فتنفعه الذكرى قرا عاصم فتنفعه بالنصب • والباقون بالرفع فمن رفع فهو نسق على قوله او يذكر • ومن نصب فعلى جواب الترجي كقوله في المومن فاطلع وهو مذهب كوفي وتقدم الكلام عليه • وقال ابن عطية في جواب التمني لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله لعله يزكى • قال ابو حيان وهذا ليس تمنيا انما هو ترج • قال شهاب الدين انما يريد التمني المفهوم من الكلام ويدل له ما قاله ابو البقا وبالنصب على جواب التمني في المعنى والا فالفرق بين التمني والترجي لا يجهله ابن عطية وقال مكي من نصبه جعله جواب لعل بالفا لانه غير موجب فاشبه التمني والاستفهام وهو غير معروف عند البصريين • وقرا عاصم في رواية والاعرج او يذكر بسكون الذال وتخفيف الكاف مضمومة مضارع ذكر • والمعنى او يتعظ بما يقوله فتنفعه الذكرى اي العظة قوله اما من استغنى

King Saud University
Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)